٤٠٩

كلمة صاحب الجلالة

جواباً عن تهنئة أعضاء الحكومة وكبار الموظفين

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

وزراءنا الأمجاد، حضرات السادة أعضاء إدارتنا في المملكة،

شعبنا العزيز :

إننا لنحمد الله تعالى على ما أضفى على هذا البلد الأمين من خير وبركات، كما نحمده على أن مكن شعبنا المسلم الأبي أن يقتبل كل سنة هذه الذكرى بمزيد من الايمان والحماس والتقوى والتعلق بالمبادىء الاسلامية وإننا إذ نشكركم على تهانيكم التي نعلم حق العلم أنها صادرة من أعماق أفئدتكم — علينا أن نذكركم بما جاء به الاسلام، وبما من شأنه أن يجنب المسلمين والمغرب خاصة مواطن الزلق ومكاره الطريق.

الاسلام دين ودولة

إن الدين الاسلامي قبل أن يكون دين عبادة هودين مجتمع واجتماع وفي سيرة النبي عليه الصلاة والسلام وفي كتاب الله العزيز وفي أحاديث المصطفى دلائل كثيرة تدل على أن الدين الاسلامي هو دين تنظيمي قبل أن يكون ديناً للتعبد والنسك.

إن الدين الاسلامي نظم كيف يعيش الفرد مع الفرد ونظم كيف يعيش الفرد مع الجماعة ونظم كيف تعيش الجماعة مع الجماعة، والشعوب مع الشعوب وجعل لذلك حدوداً وقنن قوانين ووضع مسؤوليات وحددها وجعل لها حدوداً شرعية.

جاء النبي ليتمم مكارم الأخلاق :

فعلينا إذن أن نعلم ونتأكد من أن النبي صلى الله عليه وسلم حينما جاء لاعلاء كلمة الله ومحاربة الشرك والوثنية جاء كذلك ليتمم مكارم الأخلاق.

وإننا لأحوج ما نكون إلى الدين في عالم اليوم الذي تجتاحه موجات من العنف، وتجتاحه موجات من القلق والحيرة، فعلينا أن نعلم أننا يمكننا أن ننجو من هذه الاضطرابات ومن هذا القلق ومن هذه التساؤلات حيث أن الوسائل بين أيدينا، فعلينا إذن أن لا ننساها أولا وأن نستعملها ثانياً، علينا أن نربيها في نفوسنا، ثم علينا أن نربيها في شبابنا.

تقديم مفاهيم جديدة لشبابنا على هذه الحياة :

فعلينا إذن حينما نتكلم مع شبابنا أن لا نطلق في أذهانهم على لفظ الاسلام تعريفاً محضاً يقوم على الصلاة والصيام والحج فقط، بل علينا أن نعرف لهم الاسلام كطريقة وكبرنامج وكفضيلة وكوسيلة تفتح أمامهم كل الآفاق وكل المطامح، تفتح أمامهم أبواب الاطمئنان.

وعلينا ثانياً أن لا نقول لهم دائماً افعلوا كما فعلنا أو اعملوا كما عملنا، لأن العمل والفعل يفترقان بالمكان

والزمان والظرف، فظرفنا اليوم هو ظرف المجانية، أعني بهذا أن الجيل الذي سبقنا لم تكن منه إلا طائفة محظوظة هي التي تمكنت من القراءة والدراسة وتعلم الطب والهندسة وأشياء غير ذلك، فعرفت تلك الطائفة نظراً لقلتها، نظراً لقلة الوسائل، عرفت ما هي المتاعب والمصاعب التي تغلبت عليها، عرفت ما هي التضحيات التي أدتها أسرها وعشائرها، فصار ذلك من السهل على ذلك الجيل أن يعطي لكلمة المواطنة حقها الصحيح وأن يعطي للبرور بالوطن معناه الصحيح.

أما عصرنا هذا فهو عصر المجانية، فالتعليم مجاني، والطب مجاني، بل صارت حتى الملاهي مجانية، حيث في إمكان كل واحد منا أن يشتري بثمن ضئيل آلة للتلفزيون أو آلة للراديو ويصبح آنذاك بما يراه أو يسمعه في مصاف الذين لهم الامكانيات لأن يحضروا محاضرات ويحضروا المشاهد والحفلات.

علينا أن نزيد في توعية الشباب :

فعلينا إذا نحن أردنا أن نحارب هذا الجانب من تفكير المجانية أن نزيد من التوعية في أذهان شبابنا.

أن نزيدهم علماً بما يرهق كاهل الدولة وما يرهق كاهل المجتمع من متاعب ومن تضحيات، علينا أن نقول لهم لا تسيروا بسير آبائكم بل سيروا بسير وسائلكم، فقد كان أجدادنا يسيرون على الابل وعلى الخيل ومن ثم على العربات وبعد ذلك على السفن الشراعية، ومن بعد على سيارات بطيئة.

أما نحن وأبناؤنا فسوف نسير بوسائل لا يمكن للعقل أن يلم بها تمام الالمام.

فالمهم ليس الركوب، المهم هو الراكب، المهم ليس الطريق المهم هو الهدف، وهذا كله لا يتأتى إلا إذا نحن آمنا إيماناً قوياً بأن لدينا من السلاح المعنوي ما يمكننا أن نضع به البرامج ونخطط الخطط.

علينا أن نكون مثل الغواص :

فنحن لسنا كالمجتمعات الأخرى في كل قرن أو في كل جيل تبحث عن فلسفة أو تبحث عن نبي فيلسوف أو تبحث عن رائد أو عن ملحمة، أو تبحث عما يلم شعثها أو يذكي قريحتها، نحن ولله الحمد مسلمون علينا أن نعرف الاسلام، علينا أن نكون كالغواص الذي يأخذ على نفسه وصحته فيغوص في البحر فيجد فيه المرجان ويجد فيه اللؤلؤ، علينا أن نلزم أنفسنا بأن نكون مثل الغواص وأن نجهد النفس وأن نعطي لمفاهيمنا مدلولها الحقيقي.

إذ أننا لسنا في حاجة إلى إمام فيلسوف يفتي علينا طرق الحياة، لسنا في حاجة إلى مدرسة جديدة لسنا في حاجة إلى برنامج أو خطة جديدة، إنما نحن في حاجة إلى تجديد في الجهد وإلى تجديد في التفكير، نحن في حاجة إلى أن نكون كيماويين لأن في القرآن وفي الحديث جميع ما يمكن أن نصنع به الأدوية.

فإذا نحن كونا ذلك الكيماوي الرشيد أخذنا من هنا مادة ومن هناك مادة أخرى ووضعنا بها الدواء الذي يمكننا أن نداوي به أنفسنا وأبناءنا ومن يأتي بعدنا.



الاسلام لا يعترف بالطبقات :

فعلينا إذن أن نعلم أن في هذا البلد، كما أن الاسلام جعل أن لا يكون الفرق الطبقي، لا يمكن ولن يمكن أن يتصور في البال أن تكون هناك فوارق بين الأجيال اللهم إذا كانت مصطنعة أو إلا إذا كانت جاءت من الخارج أو إلا إذا صنعناها نحن بأيدينا بتخلينا عن التربية وبتخلينا عن الابتكار.

فإلى جميعكم وإلى جميع من يراني ويسمعني أقول وأؤكد اننا في محجة بيضاء، إننا في سفينة يحيط بها الأمن والأمان، إننا تحت رداء الحفظ والرعاية، حفظ الله ورعاية الرسول وتحت ظل القرآن وحديث النبي عليه الصلاة والسلام، وإذا ما ألم بنا شيء فإنما سنكون نحن الذين صنعنا ما وقع لنا أو ما صار بنا، أما وسائلنا كما قلت وكما سلف فهي بيدنا وهي مسألة ابتكار واجتهاد وتفكير.

دعوات خالصة :

وإننا لنسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعل هذا العيد فاتحة عهد جديد على الأمم الاسلامية والعربية، عهد يمكنها أن تسترجع مكانتها، عهد تتمكن فيه الدول العربية والاسلامية أن تحشد أكثر ما يمكن من الأصدقاء حولها، عهد تتمكن فيه الدول الاسلامية والعربية أن تتلاءم وأن تكثر من أصدقائها ومعينيها، كما نسأل سبحانه وتعالى أن يحفظ شعبنا ويديم عليه رداء العافية والرخاء والطمأنينة والأمان.

كما ندعو لجميع الذين يعملون في إطار الدولة مدنيين كانوا أو عسكريين جنديين كانوا أو شرطيين، مهندسين كانوا أو أطباء، أساتذة كانوا أو فلاحين، أن يعينهم الله على القيام بواجبهم قياماً يكفل لهم هناء الضمير، ويضمن للأمة وللدولة الخير العميم كما نتوجه إلى كل بيت بيت من أسرتنا الكبيرة — شعبنا العزيز علينا — لنبلغه تحياتنا الأبوية، وعواطفنا الخالصة، ونجدد له تعلقنا به، وتحملنا لأمانتنا، واستعدادنا للتضحية أكثر من ذى قبل وفي كل وقت وحين، حتى يعيش رافلا في حلل النصر في كنف القرآن وتحت ظل الاسلام آمناً مطمئناً سعيداً.

والسلام عليكم ورحمة الله.

ألقيت بالرباط

الأحد 12 ربيع الأول 1388 — 9 يونيو 1968